تعاطي المخدرات والأسرة
السبب والنتيجة

أ. مليكة عرعور و أ. أسمهان بلوم*

مقدمة

لقد اعتبر علماء الاجتماع أن الأسرة هي الخلية الأساسية في المجتمع كونها المؤسسة الاجتماعية الأولى المكلفة بالتربية، التنشئة والتطبيع الاجتماعي[1]، إذ في ثنايا تلك العمليات تقوم الأسرة بنقل الموروث الثقافي الاجتماعي من جيل إلى أخر ومن ثمة تعليم الطفل ما يجب القيام به في مختلف المواقف الاجتماعية ومع مختلف الفاعلين في المجتمع وما لا يجب القيام به، وبالتالي فإن أي خلل يحدث في سلوك الطفل في أي مرحلة عمرية كانت فإن الأسرة هي المسئول الأولى على ذلك الخلل السلوكي ـ سلوك انحرافي ـ ومن ثمة تأتي ترتيباً مختلف مؤسسات المجتمع الأخرى تبعاً لدرجة تدخلها في عملية التنشئة الاجتماعية، هذا يعني أن السلوك الانحرافي ـ تعاطي المخدرات ـ أين كانت طبيعته فهو انحراف الأسرة بقصد أو دونه في أساليبها التربوية والإنشائية التي يقوم بها الكبار نحو الصغار وخاصة الوالدين وما يوفراه لها من ظروف تأمن كل أنماط الاستقرار كالاستقرار الوجداني،

* جامعة محمد خيضر، بسكرة.

(1) صالح محمد علي، 2004، ط04، ص15 ـ 45 .

الاستقرار النفسي، الاستقرار الاجتماعي، الاستقرار المادي.

إن تعاطي المخدرات عند الشباب خاصة لا يضر بالفرد المتعاطي بدنياً ونفسياً فقط بل أن الضرر الحقيقي لهذه العملية الانحرافية هو عندما تعدي مجال الفرد والذات ويصل إلى مستويات أكبر في المجتمع وأولها الأسرة لأن الرجل والمرأة يدخلون في علاقة زواجية ومسار من المسؤوليات الكبيرة بغرض إشباع غريزة الأبوة والأمومة بالمقام الأول ومن ثمة تحقيق كل الطموحات والرغبات التي لم تمكنهم الظروف المختلفة من تحقيقها إضافة إلى الرغبة الجامحة للآنا للبقاء والخلود وبالتالي وجود الأبناء وتحقيق متطلباتهم المتنوعة حتى وإن كان على حساب الكثير من الرغبات الخاصة بالوالدين هو امتداد النوعي لوجودهم النفسي والعضوي؛ هذا من ناحية ومن أخرى، الطفل أو الشاب هو المورد الأساسي الحي والطاقوي لإنماء المجتمع وتنشيط كل مختلف مصادر الطاقة الأخرى أو الخامدة وكذا الاستراتيجيات التنموية القصيرة والبعيدة المدى وبالتالي تجسيد التنمية المستدامة في المجتمع من هنا فإن فساد تلك الطاقة وخمودها قبل فاعليتها بسبب تعاطي المخدرات من طرف الطفل أو الشاب يعتبر ضرباً حقيقياً للمجتمع بعد الأسرة مباشرة، من هنا يمكن القول أن الإشكالية العلائقية التي تربط تعاطي المخدرات بالأسرة هي علاقة سبب ونتيجة لكن الأهم أنها علاقة سببية تبادلية، والأجل التفصيل في هذه القضية بجزيئاتها جاءت هذه المداخلة المعنونة بـ: تعاطي المخدرات والأسرة (السبب والنتيجة).

ماهية تعاطي المخدرات

إنه من المنهجي بمكان قبل رصد العلاقة السببية التبادلية بين مفهومي تعاطي المخدرات والأسرة يجدر أولاً إعطاء تصور تفصيلي دقيق حول عملية تعاطي المخدرات وسمات أو ملامح المتعاطي.

تعريف عملية تعاطي المخدرات:

يتكون مفهوم تعاطي المخدرات من شقين احدهم يعبر عن مادة كيميائية وهي «المخدرات» والتي تدلل لغوياً على معنى «مادة تجلب الخدر، تضعف الحساسية، مادة من خصائصها إزالة الإحساس بالوجع» و«الشراب والدواء الذي

يترتب عنه فتور وضعف للشارب بدنياً ووهن نفسي »[1] أما عن الشق الثاني فيشير إلى التناول والخوض فيه وبناءاً عليه فإن تعاطي المخدرات هو تناول مادة تفقد الفرد على الإحساس بالوجع والألم، أما من الناحية المفهمية بالنسبة لهذا الأخير فتعاطي يشير إلى «الرغبة في الاستعمال الجبري المتكرر للعقار والضرر الذي يحدثه يعتمد علي درجة الخلل بشخصية المدمن وهي عادة ما تكون شخصية غير سوية »[2] تعاني من مشكلات عدة قد تكون نفسية أو اجتماعية، اقتصادية، لكن تعاطي المخدر أو أي نوع من الأدوية المسكنة لا يعتبر إدماناً إذا ارتبطت العملية بجرعات طبية ذات المفعول العلاجي وكذلك أن التوقف عن تعاطيه عملية مرتبطة بإرادة الطبيب، أما إذا خرجت عن هذين المعياريين فإن تعاطي المخدر أو المسكن خرج من دائرة العلاج التطبيبي، بمعنى أخر أن ذاك التعاطي إرتبط سلوك التحمل[*] أو التمادي.

أما بالنسبة للشق الأول للمفهوم أي المخدرات مفهمياً فإن لا يوجد لها تعريف عام متفق عليه من طرف المتخصصون والدارسين للظاهرة، بحيث يوضح مفهوم المواد المخدرة بوضوح وجلاء، غير أنه توجد العديد منها أولها ما قدمه الأستاذ سعد المغربي في دراسته يرى أن المخدر هو « المادة التي يؤدي تعاطيها إلى حالة تخدير كلي أو جزئي مع فقد الوعي أو دونه، وتعطي هذه المادة شعوراً

(1) منجد الإعدادي، 1989، ص535.

(2) محمد سلامة، 200، ص03 .

(*) إن قضية التحمل Tolerance أو التمادي في تعاطي المخدر أو المسكن يكمن في تحول المتعاطي إلى مدمن أي زيادة خطورة الأثر على الفرد بدنياً ونفسياً وإدراكناً وذلك من خلال الزيادة في الجرعة المعطاة من قبل، وذلك من أجل الحصول علي الأثر المطلوب من فقدان الوعي أو الشعور بمتناقضات الواقع التي تجعل افرد يحث عن حلول للمشكلات وبالتالي التغيير والتطوير، بمعني أخر أن الشخص يحتاج دوما إلي زيادة جرعات المادة ليحصل علي نفس الأثر الذي كانت تحدثه من قبل جرعات أقل منها بغرض الغياب عن الوعي وبناءاً عليه استشعار لذة ما يفتقدها في الواقع الموضوعي وهي عنده ذات درجة إلحاحية عالية وفي نفس الوقت يفتقد القدرة لأي سبب كان في تحقيقها، إذا التمادي في التعاطي قضية واعية مرغوبة عند المتعاطي قبل الإدمان والغور في مشكلة المخدرات.

كاذباً بالنشوة والسعادة، مع الهروب من عالم الواقع إلى عالم الخيال »[1] على نحو مؤقت نتيجة التفاعل الكيميائي الذي يحدث بين المادة المتعطاة وجملة التفاعلات الهرمونية بحيث يصبح الجهاز العصبي يعمل بشكل فوضوي غير متناغم ومنسجم ومنه يفقد هذا الأخير التركيز جزئياً أو كلياً على القضايا التي يريد القيام بها وكذا التمييز بين القضايا المفيد ة والضارة التي يجب القيام بها أو التمنع عنها لأنه يعيش وعياً شعورياً في واقع ليس له علاقة بالحقائق الموجودة في الواقع والتي على إثرها ينحو نحو سلوكي معين، بينما أخر تعريف وارد هاهنا ركز على ركنين أولهم يرى المخدر هي « مادة كيميائية تسبب النعاس والنوم أو غياب الوعي المصحوب بتسكين الألم »[2]. أما الركن الموالي وهو القانوني يرى أن المخدرات هي « مجموعة من المواد التي تسبب الإدمان، وتسمم الجهاز العصبي، ويحظر تداولها أو زراعتها أو صنعها إلا لأغراض يحددها القانون، ولا تستعمل إلا بواسطة من يرخص لهم بذلك »[3] إذا تعاطي المخدرات دون رقابة طبية يعتبر الخروج عن المعايير والقواعد المحددة في القانونيين والدساتير، وعليه فالانحراف عن المسلك المحدد قانونيا يوصل صاحبه للملاحقة والمسألة القانونية لأجل القهر والزجر لما صدر عن الفرد من سلوكات غير سوية، ومن هنا يتضح أن الربط بين الجانبين العلمي والقانوني ذا دلالة قوية في تخريم تعاطي المخدرات.

من هنا يمكن القول أن تعاطي المخدرات تغيب الفرد عن الواقع، تفاعلاته وتناقضانه التي تجعل الفرد يستشر الحياة ويتلذذ جده واجتهاده في تحقيق متطلبات الحياة ورغباته ومكاسب ذاك الجد والاجتهاد، المهم أن الفرد يكون بعيد بإحساسه ووعه وشعوره عن تلك المؤثرات، هذا يعني أن الإدمان النفسي والبدني على المخدر، يمكن إعطاء تعريف شامل للمخدرات مفاده أنها مادة كيميائية مسكرة طبيعية أو مصنعة تسبب لمتعاطيها فقد الجهاز العصبي القدرة على التحكم العقلي والواعي حزئياً أو الكلياً في باقي أعضاء الجسم، إذ أن تناولها بجرعات مفرطة

(1) سعد العربي، 1971، ص 14 .

(2) محمد نجيب الملاح، 1983، ص35 .

(3) ابن منظور، لسان العرب، المجلد الرابع، 1999، ص 232 .

تسبب الإدمان عليها لدرجة فقد القدرة على الامتناع عنها بمفرده مما يستدعي الحصول على مساعدة من الوسط الخارجي.

2 . مميزات المتعاطي للمخدرات:

عادة ما يتميز التفرد المتعاطي للمخدرات إناث أو ذكور، كبار أو صغار بمميزات تجعل تواصلهم وتفاعلاتهم مع الأشخاص الآخرين غير ذات جدوى ومن تلك المميزات مايلي:

- الشعور بالوحدة والغربة.
- الشعور بعدم الثقة في الآخرين.

أولا : الأسباب الأسرية في التعاطي

لقد تعددت وتشابكت الأسباب المؤدية إلى وجود ظاهرة تعاطي المخدرات بتعدد فاعليها وأبعادهم وعلاقتهم ببعضهم البعض فمنهم الفرد كوحدة نفسية عضوية، وكذا الأسرة ومؤسسات اجتماعية أخرى كالشارع وبناء وظروفه، المدرسة ومعطياتها...الخ، كما أنها تنوعت بتنوع المجتمعات الإنسانية وخصوصيتها وعلاقاتها الدولية لكن التركيز هاهنا على الأسرة[1] جاء نتيجة علاقتها التغلغلية[*] في كل تلك الوحدات الذاتية والمجتمعية وعليه تم تتمثل الأسباب الأسرية المؤثرة في الفرد في الأتي:

1 . القدوة الوالدية السيئة:

يعتبر الوالدين المرجعية المثالية للأبناء، حيث يلجأ إليها الطفل تلقائياً على

---

(1) مريم عبد الله النعيمي، 2005، ص 70 .

[*] فهي التي تجلب الولد من العدم بإرادة ذاتية منها رغب المجتمع في ذلك أم رفض كما أنها تعرفه قبل أن يعرف ذاته وصفاته ويعرف المحيط من حوله وتعرفه عليه بكل جزئياته وطرق استخدامها فيه وهي التي تنقل له المعرفة المجتمعية إلى وعيه كمأ نوعاً دون وعي منه ولا إرادة، كما أنها تزود المجتمع المورد البشري بالنوعية التي تحددها وإن كان غير ذا نفع فعلى المجتمع أن يصلح ما فسد فيه بإنشاء المؤسسات الإصلاحية ومن ثمة تطويعه لما يريد ولكن ليس تطويعاً كاملاً وتاماً، لأن الأساس لم يبنى على النحو سليم منذ البداية. أنظر:[B.B.Legros, p19-39]

نحو مباشر أو غير مباشر لأخذ الموعظة والفكر السليم وأساليب حل المشكلات التي تواجههم في مختلف الحياة بدءاً من مواقف العراك مع رفاقهم في الشارع إلى غاية التعامل مع المعلمة وشيخ في الطريق...الخ وبالتالي فالوالدين هم مصدر القوة في التحدي والعمل والمثابرة...الخ، مما يجعل الأبناء يحاكون الوالدين في كل ما يصدر عنهم من ألفاظ وسلوكات بكل أنواعها سواء كانت سوية أو غير ذلك وعليه فإن محاكاة الأبناء للوالدين فيما هو غير سوي وارد أيضاً وبنفس الوتيرة في الحالة السوية لأن الطفل لا يعي إن كا ما يصدر عن الوالدين جيد أو سيء كتعاطي المخدرات والمسكرات لأنه لم يصبح ذا قدرة عقلية تحكيمية جاهزة للتفعيل ويرجع ذلك إلى أنه حينما يظهر الوالدين في بعض الأحيان أمام أبنائهم في صورة تجسد الانحراف وهم تحت تأثير المخدر، فإن ذلك يسبب صدمة نفسية عنيفة للأبناء وتدفعهم إلى محاولة تقليدهم فيما يقومون به سواء بغرض الإقتداء بهم أو الانتقام منهم لأن ذلك يؤثر تأثيراً مباشراً على الروابط الأسرية نتيجة ما تعانيه الأسرة من الشقاق والخلافات الدائمة لسوء العلاقات بين المدمن وبقية أفراد الأسرة مما يدفع الأبناء إلى الانحراف والضياع، وقد تتجسد القدوة السيئة في إدمان أحد الوالدين، عندما يكون أحد الوالدين من المدمنين للمخدرات أو المسكرات أو كثرة تناول أحد الوالدين الأدوية والعقاقير المسكنة للألم أو المهدئة للقلق...الخ وهنا الأمر يختلف نوعاً ما إذ حب الاستطلاع والفضول بالنسبة للأبناء قد يجعلهم يتناولون بعض الأدوية والعقاقير التي تناولها آباؤهم مما ينتج عن ذلك كثيراً من الأضرار والتي قد يكون من نتيجتها الوقوع فريسة للتعود على بعض تلك العقاقير وعليه فإن النتيجة واحدة.

2. كثرة تناول الوالدين للأدوية والعقاقير:

عادة ما يتميز الطفل في صغره بفقد القدرة على التمييز بين الأشياء الضارة والنافعة لذا فإن تمييزه بين تعاطي أحد الوالدين الأدوية للضرورة الطبية أو شيء أخر، إضافة إلى تميزه بحب الاستطلاع العالي النشاط والرغبة إلى إشباع الفضول لديه قد يدفع الطفل بقوة إلى الإقدام على تناول بعض من تلك الأدوية والعقاقير

التي يتناولها أبواه خلسة ودون انتباه(*) منهم أو أحدهم، حيث أن تناول الطفل للدواء أو العقار المخصص للكبار بتركيبة كيميائية يتقبلها جسمه ومهيأ لها لا يناب بالضرورة جسم الطفل الصغير لأنه إن لم يسبب له التسمم والموت في حينه فهذا يعني أنه سيعود إلى الطفل تكراراً ومراراً وسيتعود على تعاطيه خلسة وفي حالة غفلة من الوالدين وبالتالي يدمن عليه إدماناً نفسياً ومن ثمة جسدياً وبالتالي قد يكون من نتيجتها الوقوع فريسة للتعود على بعض من تلك العقاقير.

3 . انشغال الوالدين عن الأبناء[1]:

إن انشغال الوالدين عن تربية أبنائهم بالعمل أو السفر للخارج وعدم متابعتهم أو مراقبة سلوكهم يجعل الأبناء عرضة للضياع والوقوع في مدارات الإدمان ولاشك أنه مهما كان العائد المادي من وراء العمل أو السفر فإنه لا يعادل الأضرار الجسيمة التي تلحق بالأبناء نتيجة عدم رعايتهم الرعاية السليمة، كما أن الرعاية المفرطة تولد درجة من القسوة في التربية على الأبناء، حيث أكد جمع من علماء التربية بأن الابن إذا عومل من قبل والديه معاملة قاسية مثل الضرب المبرح والتوبيخ فإن ذلك سينعكس على سلوكه مما يؤدي به إلى عقوق والديه وترك المنزل والهروب منه باحثاً عن مأوى له فلا يجد سوى الجماعات المنبوذة اجتماعياً التي تدفع الفرد الهارب من الأسرة إلى طريق غير السوي ومنها تعاطي المخدرات والمسكرات والإدمان عليها قد يزيد القضية هنا سوءاً إذا ما انشغل احد الوالدي عن أبناءه بدافع الهرب هو كذلك من فقد الشعور بالراحة الوجداني من الزوج الأخر نتيجة عدم التكافؤ بين الزوجين، إذ في هذه الحالة يتأثر الأبناء بذلك تأثيراً خطيراً وبصفة خاصة إذا كانت الزوجة هي الأفضل من حيث وضع أسرتها المادية أو الاجتماعية، فإنها تحرص أن تذكر زوجها بذلك دائماً، مما يسبب الكثير من الخلافات التي يتحول على أثرها المنزل إلى جحيم لا يطاق، فيهرب الأب من المنزل إلى حيث

(*) لذلك عادة ما يجد المريض عند شرائه للأدوية أنه مكتوب على علب أو أغلفة الدواء العبارة الإرشادية التالية للتحذير والتوعية « لا يترك في متناول أيدي الأطفال » وذلك لمزيد من الحيطة والحذر من فضول الطفل في محاكاته للأولياء.

(1) صالح محمد على، 2004، ط04، ص21 .

يجد الراحة عند رفاق السوء، كما تهرب هي أيضاً إلى بعض صديقاتها من أجل إضاعة الوقت ، وبين الزوج والزوجة يضيع الأبناء وتكون النتيجة في الغالب انحرافهم .

4 . ضغط الأسرة على الابن من أجل التفوق:

إن الاهتمام الوالدي بالأبناء قضية مرغوب فيها جداً وليس هذا فقط بل أن الآباء ملزمين بذلك منذ وجود الطفل رضيع إلى أن يصبح راشد وقادر على التمييز بين الناقع والضار والأهم كبح النفس عن الثاني والسعي بأساليب سليمة للأول، لكن الإفراط[1] في ذلك قد يؤدي إلى نتائج عكسية تماماً غير مرغوب فيها، فمثلاً عندما يضغط الوالدين على الابن ويطلبون منه التفوق في دراسته مع فقده القدرة على التميز بالقدر المتوقع منه بإلحاح كبير جداً ومربك كذلك، مما يدفع الطفل أو الشاب إلى الاستعانة ببعض المنشطات أو المنبهات واستعمالها وخاصة في فترات معينة كفترات الامتحانات بغرض التذكر أو السهر إلى أوقات متأخرة وبالتالي تحصيل الدروس هذا؛ من ناحية ومن أخرى؛ أن ذلك الوضع التربوي ولد عنده الشعور بالقهر وعدم التقبل الذي يفرز بدور الرغبة في التنفيس، إذ الوسيلة المتاحة عنده هي استعمال بعض المواد المسكرة التي تبعده عن الواقع الذي يعيش فيه وبهذا لا يستطيع بعد ذلك الاستغناء عنها.

5 . تعاطي أحد الوالدين للمخدرات:

عندما يكون أحد الوالدين الأب أو الأم من المتعاطين للمخدرات أو المسكرات أو أدانى شيء السجائر فإن ذلك يؤثر تأثيراً مباشراً على الطفل وتأثير الأم يختلف عن تأثير الأب، إذ أن الأم المدمن تنقل تركيبة المادة المخدرة إلى الطفل عن طرق الدم الذي يسري في عروقهم معاً ــ الأم والجنين ــ وذلك عند الحمل والأخطر من ذلك أن تلك السموم التي تنقلها الأم في الدم قد تقتل الطفل في الرحم، أما بالنسبة للأب فإن نقل فكرة تعاطي المخدرات يكون سلوكياً[*]

(1) صالح محمد على، 2004، ط04، ص32 .

[*] لأن التربية أو التنشئة الاجتماعية لها أسلوب مباشر مقصود يعيه الوالدين في تعليم الطفل ما يجب وما لا

أكـثر من غيره وخاصة الطفل الذكـر لأنه أقرب لأبيه من أمـه إذا مـا خـرج الطفـل للوجود بوضع سليماً معـافى، ذاك أن الطفـل يـرى والــده رمـزاً للقـوة والحريـة(**) مقـارنة بالأم فيعمل على تقليده لكسب هيبته ووزنه في الأسرة والعكـس في حــالة البنت مقـارنة بـالأم، ومـن هنـا يكـون التقليـد في تعـاطي الأدويـة والعقاقـير الـتي سيصبح هذا الولد أو تلك البنت مدمن عليها دون وعي منـه أو إدراك إدمانـاً نفـسياً وعضوياً.

6 . عـدم التكافؤ بين الزوجـين:

يعتبر الزوج والزوجة القاعدة الأساسية لوجود الأسرة والعلاقة الزواجية هـي العلاقة الأساسية لكل العلاقات الموجودة في الأسرة الأمومة، الأبـوة وأخـيراً علاقـة الأخوة وبالتـالي كيفما كانت العلاقة بين الزوجين كانت على إثرها بقية العلاقـات الأسرية الأخرى، من هــنا فــإن وجـود الـصراع بـين الـزوجين أو عـدم الاكـتراث واللامبالاة بسبب شعور احدهم أو كلاهم بعدم التكافؤ وخاصة المادي منـه، والـذي يترتب عنه التذكير المستمر للأخر بما يتميز عليه وبصفة خاصة إذا كانـت الزوجـة هي الأفضل من حيث وضع أسرتها المادي والاجتمـاعي، فإنهـا تحـرص أن تـذكر زوجها بذلك دوماً، مما يسبب الكثير من الخلافات والمشكلات التي يتحـول علـى أثرها الوسط الأسري إلى وسط مليء بالقلق والتوتر والمـشاحنات في كـل موقـف تفاعلي، بدءاً من الأب الذي يهرب من المنـزل إلى حيـث يجـد الراحـة عنـد رفـاق السوء ويتهرب من القـيام بمهامه الأبوية والزوجـية، مروراً بالزوجة التي تهرب مـن كل موقف تفـاعلي مع الزوج والأبناء لأنهم يذكرونها بالتنـازلات الـتي قـدمتها مـن

يجب القيام به بينما الأسلوب غـير المباشر فهو الذي يتم دون قصد، وعـي ودون إرادة من الكبار بمـا فـيهم الوالدين وهذا النموذج هو القوي في عملـية التنشئة لأنه يتـم عن طريـق العلاقـات، العملـيات والـسلوكات الاعتـيادية في الواقـع الاجتماعي.

(**) إن الطفل منذ وجوده في الأسرة لا يمـلك القـدرة على التمييـز بـين الأشـياء الـضارة والنـافعة لأنـه وبكـل بساطة لا يعرف الضار من النـافع في زمـرة الموجـودات الموجـودة في الواقـع الموضـوعي، لكـن بحكـم المحـاكاة يعـرف ما يمكن للوالد أو الوالدة القـيام به وما لا يمكنهم من هـنا نجـد الطفـل يميـل إلى تقليـد الوالد والبنت تميل إلى تقليد الأم اللاشعورياً وتلك الأفكار يـصنفها علمـاء علـم الإنـسان النفـسي بالأنمـاط اللاشعورية التي تحول إلى وعي ومدركات الطفل وتصبح بعد ذلك موجهات سلوكية.

حياتها في مقابل اللاشيء الذي حصلت عليه وهنا تلجأ الأم إلى بعض صديقات من أجل إضاعة الوقت، من هنا فإن ذاك الوسط المفرغ(*) من الاهتمام والرعاية يتأثر بالضرورة على الأبناء تأثيراً خطيراً وبالغ الأهمية مما يعرض الأبناء في الغالب إلى التوجه إلى المؤانسة غير السوية المحرضة على السلوك الانحرافي وربما أن الطفل يلجأ عمداً وعن وعي إلى تعاطي المخدرات كنوع من العقاب للأولياء أو لشد انتباههم.

7 . القسوة الزائدة على الأبناء:

عادة ما يرى الطفل الوالدين مصدر الأمان والحنان والرقة، لكن عندما تقلب هذه الصورة عنده فإنه لا يرى أمامه أحد يعوضه فقدان ذاك المصدر، لذا فقد أجمع علماء التربية بأن الابن وخاصة الشاب إذا عومل من قبل والديه معاملة قاسية مثل الضرب المبرح، التوبيخ على الملأ، الشتم دون سبب أو حتى بسبب، التمييز بين الأبناء لأسباب خلقية الجمال مثلاً...الخ، فإن ذلك سينعكس على سلوكاته سلباً مما يؤدى به إلى التنكر لوجود والديه وسواء بترك المنزل والبحث عن مأوى أخر له قد يجد فيه ما فقده أو انه يرتكب الحماقات بغرض الانتقام منهم، وفي الحالتين الطريق لتعاطي المخدرات سهل وله من يساعده ويدفعه إليه دفعاً قوياً وهنا الطفل أو الشاب يجد نفسه دون درع واقي المتمثل في النصيحة والتوجيه الحسن.

خلاصة لما تم ذكره من أسباب تجز الفرد في حلقة تعاطي المخدرات يمكن القول أن للأسرة الضلع الأكبر والقوة في هذه المهمة التي تجعل الفرد غير ذا قيمة وذا فعالية بالنسبة لذاته والمجتمع من حوله وكل الأفراد ذوي العلاقة به قبل ذلك.

(*) نتيجة تفريغ الأسرة من وظيفتها الأساسية والمتمثلة في التنشئة الاجتماعية وتحقيق الأمان والاستقرار النفسي، الوجداني والاجتماعي والاقتصادي لكل أفراد لأسرة وخاصة الأبناء.

ثانيا: انعكاسات تعـا طي المخدرات عـلى الأسرة بنـاءً ووظيفـةً

الوظائف الأسرية:

- **إستخدام الأساليب التربوية غير السوية**
- **استخدام أساليب اتفاقية غير مشبة للحاجات الأساسية للفرد والأسرة**
- **عدم إشباع الحاجات الفردية مما يدي إلى انتشار الفقر والجهل**

المدمن بما ينفقه من مال على تعـاطي المخـدرات يقتطـع جـزءاً كـبيراً مـن دخل الأسرة، وهو بذلك يمثل عبئاً اقتـصادياً عليهـا، وباسـتقطاع ذلـك الجـزء مـن الدخل تتأثر الحالة المعيـشية للأسـرة، ولا يـستطيع تلبيـة الاحتياجـات الـضرورية لأفراد الأسرة، مما يـدفع الأبنـاء إلى الـشروع في بعـض الأعمـال غـير المـشروعة، كالتسول أو السرقة أو الدعارة، وكلها من الأمراض الاجتماعيـة الـتي تفتـك بـالفرد والأسرة والمجتمع .كما أن المتعاطي الـذي ينفـق مالـه علـى إدمانـه للمخـدرات لا يكون مقدراً للمسؤولية الملقاة على عاتقه كرب أسـرة ومـسئول عنهـا لأنـه راعيهـا الأول، بل هـو قـدوة سيئة وبالتـالي ينـشأ هـؤلاء الأولاد ولـيس لـديهم أي شـعور بالمسؤولية حيال أسرهم ومجتمعاتهم مستقبلاً وهـذا الأمـر خطـر علـى المجتمـع حينما ينشأ أفراده على اتجاهات وسلوكيات سالبة نحو المجتمع هذا بالإضافة إلى أن أسرة المتعاطي دائماً يسودها جو من التوتر والشقاق والخلاف بين أفرادها، فقد أثبتت البحوث والدراسات ارتفاع معدلات سوء العلاقات الزوجية والنزاع الدائم بين الزوجين وانفصالهم في الأسر التي يوجد بها مدمني مخـدرات،وتبعاً لـذلك يرتفـع معدل حـدوث الاضـطرابات بـين الأطفـال في هـذه الأسـر، ممـا يـؤدي إلى لجـوء الأحداث أيضاً إلى التعاطي، وكذلك انحرافهم.

وهكذا يصبح تعاطي أفراد الأسرة للمخدرات مجموعة من الحلقات المتتالية والمتشابكة التي لا تنفصل إحداها عن الأخرى، وتؤدي في النهاية إلى دمـار كامـل للأسرة ومن ثم المجتمع، فقد ثبت من مراجعة ملفات القضاء أن هنـاك مئـات مـن القضايا التي تطلب فيها الزوجـة الطـلاق بـسبب عجـز الـزوج مـن القيـام بواجباتـه الزوجية، كرب عائلة، وكوالد، وكـزوج، وبتحليـل أسـباب تلـك القـضايا اتـضح أن أغلب الأزواج ممن يتعاطون المخـدرات ويـدمنونها، وبـسبب ذلـك خـارت قـواهم الجسمية وأصبحوا في حاجة إلى من يعولهم، بعدما فقدوا مصادر دخولهم الأصلية،

أو ثرواتهم، وأصبح ما لديهم لا يكفي لمعيشة الأسرة وسد حاجاتها الأساسية، وهنا يصبح هذا الزوج شرير بائس يلتمس العيش من السرقة والنهب، وزوجته تذوق الألم وهي تحتضن أطفالها صغاراً وتدور بهم مستجدية تبحث عن الرزق الحلال، وقد لا تجد ما يكفيها وأولادها فيضطرها صراخ الأبناء وهي بين بؤس العيش والحاجة إلى ما لا ترضاه لنفسها، وهنا تتفكك الصلات والروابط بين الأفراد والعائلات وتنهدم السعادة المنزلية وشر جناية يجنيها الأب على أولاده تكون بسبب تعاطيه المخدرات.

2. بناء الأسرة:

الروابط الأسرية نتيجة ما تعانيه الأسرة من الشقاق والخلافات الدائمة لسوء العلاقات بين المدمن وبقية أفراد الأسرة مما يدفع الأبناء إلى الانحراف والضياع، كما أن تعاطي المخدرات يعد سبباً مباشراً لوقوع العداوة والبغضاء بين الناس حتى الأصدقاء منهم، لأن المدمن حينما يسكر ويفقد العقل، الذي يمنع من الأقوال والأفعال التي تسيء إلى الناس، يستولي عليه حب الفخر الكاذب والكبر، ويسرع إليه الغضب بالباطل مما يدفع إلى ألوان من البغضاء والعداوة كثير من المشاجرات، المنازعات والحزازات بين المدمن وعامة الناس فينشأ القتل والضرب والسلب والنهب وإفشاء الأسرار وهتك الأستار والأعراض، وخيانة الحكومات والأوطان، وهذه أسقام اجتماعية تؤدي بالمجتمع وتورده شر مورد.

أما أضرار المخدرات من الناحية الخلقية والكرامة الإنسانية فهي كثيرة، فغالباً ما يرى المدمن وهو يترنح ويهذي ويسقط على الأرض في قارعة الطريق، فيصيبه الأذى والقذر وهذا يذهب بكرامة الشخص وشرفه وحياته، وهكذا تضيع الإرادة الإنسانية عند المتعاطي للمخدرات، وتقتل فيه العواطف السامية، كالحنان والعطف والواجب، وهذا يعلل ما نشاهده من حالات للاعتداء على الفتيات والعربدة في المواخير والاتصال بنساء الطبقات الدنيا من العاهرات والمؤمسات والزانيات والقوادين وذوي الأخلاق الساقطة من الشباب والرجال والفحش من الحديث والسماجة وغيرها من الصفات الدنيا التي يتصف بها متعاطي المخدرات، ولذلك فالزنا وتعاطي المخدرات وجهان لعملة واحدة، وهناك ارتباط شديد بينهم، فتحف الرذائل بهم من كل جهة، الداعرة والقواد والفحش والفجور وضعف الخلق وفساد

النفس والخبث والعذر والنفاق والخديعة والرياء، وغير ذلك من الصفات الدنيئة.

ومنه يمكن القول إن الروابط والعلاقات الأسرية القرابية منها أي داخل الأسرة والمصاهرة أي خارج الأسرة الصغيرة تنكسر بسهولة كبيرة دون رغم صعوبة إنشاءها والحفاظ عليها في الواقع وظروفه المتناقضة والمتضاربة ورغم صلابتها ومتانتها، إلا أن غبار المخدرات أو قطرات منه تهشش من تلك القوة.

خاتمة واقتراحات

انطلاقاً مما سبق يتبين أن تعاطي المخدرات والإدمان عليها هو ليس قضية ذات بعد فردية مرتبطة بالمتعاطي فقط بل أنه تركيبة اجتماعية متفاعلة سواء على مستوى السبب في حدوث هذه الظاهرة أو النتيجة المترتبة عنه أي انعكاساته وخاصة نواة المجتمع وقلبه النابض والآلية التي تربط الفرد بالواقع ومعطياته وثقافته المتمثلة في الأسرة، وبالتالي فالاهتمام بهذه الأخيرة بالدراسة والتشخيص والمعالجة وجب أن يكون من طرف المختصين بها من خلال توضيح خطورة تعاطي المخدرات من طرف أفراد الأسرة وخاصة الوالدين.

بناءاً عليه يمكن إعطاء جملة من الاقتراحات المختلفة لكن أهمها الاعتدال في الاهتمام بالأبناء وتربيتهم على المبادئ الإسلامية وإعطاء الأسرة الأهمية البالغة الفعلية الموازية لوظائفها الحيوية ويبدأ هذا الاهتمام من اختيار الزوجة مروراً بالبحث عن العمل الذي يلبي حاجات أفراد الأسرة وصولاً إلى الاعتدال في ممارسة السلطة الوالدية والابتعاد عن التمييز بين الأبناء لأي سبب كان سواء الجنس أو الطبيعة أو الجمال ...الخ لأن الطفل في كل هذه الحالات غير مسئول عن أين من هذه المعطيات.

المراجع

أولا : باللغة العربية

1ـ ابن منظور، لسان العرب، دار الملايين، بيروت، المجلد الرابع، 1999.

2ـ سعد المغربي: ظاهرة تعاطي المخدرات، بحث مقدم للندوة الدولية العربية حول ظاهرة تعاطي المخدرات، الفترة4 ـ 10ماي1971م، القاهرة

3ـ صالح محمد علي، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار المسيرة، الأردن، 2004، ط04.
4ـ عزت حسنين، المسكرات والمخدرات بين الشريعة والقانون، دون سنة نشر، ط01،
5ـ محمد سلامة، الإدمان، المركز القومي للعلوم الاجتماعية والجنائية، القاهرة.
6ـ محمد نجيب الملاح، الإدمان على المخدرات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983
7ـ محمد نزار الدقر، مقالة بعنوان: المخدرات .. خطر داهم، موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القران والسنة على الانترنت .
8ـ مريم عبد الله النعيمي، المملكة الأسرية، دار ابن حزم، بيروت، 2005.
9ـ مقالة « الإدمان على المخدرات » ،مجلة النبأ ، العدد 54 ،2001.
10ـ المنجد الإعدادي، دار الملايين، بيروت، 1989.
11ـ نسرين محمد جميل، دور الأسرة في الوقاية من تعاطي المخدرات من منظور التربية الإسلامية في المملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير، جامعة المنصورة، 1991م.

ثانيا : باللغة الفرنسية:

1- B.B.Legros, Famille, mariage et divorce, Edition Liege, Bruxelles, 1997.

ثالثا : مواقع شبكة الانترنيت:

1-http://www.algamal.net/Articles/Details.aspx
2-http://www.egypty.com/top4/addict.asp
3-http://www.tcmr.org/mainall.asp?bobo=106